



عروسة المسيح بشانبة ؟ ان كارولوس انكر على الكنييسة اللاتينية طادات طقسية محضة منها : «انهم يجرمون المؤمنين من غير الاكليروس من الشرب من كأس الكاهن في ذبيحة القديس ، ويستعملون الخبز الفطير في الذبيحة ، ويصومون يوم السبت ، ويمزقون في الصلوات البيعة ، ايام الصيام ، لنظة هلوليا ... الخ»

ليس الموقف موقف جدال في هذه الساعة ، وليس من شأننا ان نبحث عن الدواعي الحقيقية التي اتخفت من تلك الحجج سيلاً الى احداث اعظم انتقام حل بالمسيحية الى ذلك العهد . وليت مهتنا الكشف عن نيات فوطيوس او كارولوس او غيرهم من اصتهم مصالح ومفانر بيزنطية اكثر مما اهتمهم واجبات اتقاء شرور الانتقام وبلاياها على المسيحية جماعاً . انما غرضنا في هذا المقال تبيان حقيقة قد جهلها الكثيرون وهي ان ما نسيه : «خلافاً طقسياً محضاً» كان له في العصر الحادي عشر شأن اعظم من ان تتعاطى امره بالسرعة والمجازفة . والشاهد على ذلك ان البابا لاون الحادي عشر ، لما اطلع على فعوى رسالة كارولوس الى يوحنا اسقف تراني ، امر الكردينال هومبر بارد عليها . والجواب محفوظ الى يومنا في مجموعة مين الكبرى (Migne, P. L. 143, col 937-984) . نظر الكردينال بعين الاعتبار الى شكواى بطريرك القسطنطينية ، وردت عليها مبنياً حقوق الكنييسة اللاتينية في ممارسة العوائد التي اؤخذت بها عن غير حكمة وصواب

وقد عالج القديس بطرس داميان (١٠٠٦ - ١٠٢٠) ، احد معاصري كارولوس العظيم ، المشاكل المطروحة آنذاك بين الشرق والغرب ، واتخذ من ثم فرصة للتوسع في تفسير رموز بعض العوائد الطقسية المذكورة ، مما يدل على عظم شأنها ليس فقط في نظر الشرق ولكن في نظر الغرب ايضاً ، فقال في الصوم السبتي انه تذكار لليوم السابق قيامة المسيح ، وان حياتنا يجب ان تكون سبباً دائماً في رجاء القيامة السميدة . وتناول الكلام على واجب الوقوف في الكنائس ، احتراماً وقال «مفروض ابداً ، ليس فقط على الاكليروس ولكن على العلمانيين ايضاً من الجنسين ، الا يجلسوا ولا يتكثروا في الكنائس وقت

الطقوس الا وقت القراءات طبقاً للعادة التي أدخلت ، او وقت المرض . « على اننا نعلم ان نظام الكنيسة الحالي قد ادخل بعض التغييرات على تلك العادات فوضعت المقاعد والمساجد والكراسي في الكنائس شرقاً وغرباً . ولكن لم تدخل تلك العوائد ضوياً في جميع الكنائس ، ولعلها اصطدمت بمقاومة شديدة أدت الى شقاق عظيم . فانها في العصر السابع عشر انتجت عواقب وخيمة في الكنيسة الروسية ، وقد قام البطريرك نيقون سنة ١٦٥٣ في موسكو مبتغياً احداث تغيير في الطقوس لا يكاد يستحق الذكر . فهاج الشعب وانكر على البطريرك « اختراق القدسيات » وانتق عن الكنيسة الروسية الروسية محدثاً فيها بدعةً جديدة دعيت (Staroobriadtsy) او اصحاب الايمان القديم . هذا مما يدل على واجب مراعاة حقوق العوائد في الطقوس توكياً للشرور الناتجة في الغالب عن الجهل والتعصب القومي ، وهذا ما يفسر لنا الاسباب التي من اجلها لا تزال رومة ساهرة كل السهر على حفظ الطقوس مصانة في بيعة الله .

### الامن في الحجاز

نشرت مجلة «الاصلاح» الدينية المكية مقالاً (ربيع الثاني ١٣٤٨ ، سبتمبر ١٩٢٩ ، ص ١٩٥) من المنشآت في مصر ، وكثيرها ، وشاعها ، فطلتها بتراخي الحكومة عن مراقبة المجرمين الشريفة المبية ، وقابلت بين مصر وسائر البلاد الشرقية وبين الحجاز ، فانكرت على الاولى تاملها بتطبيق الشريعة ، وذكرت ان العدالة نثرت لواءها على الحجاز والامن خيم على رماله ، لان سيف حكومتها مريع الانتقام للشريعة . قالت :

واعظم شاهد على صدق ذلك حالة بادية الحجاز اليوم وما هي عليه من الامن الشامل الذي يمكن اي كائن من ان يحمل ما يشاء من ذهب ومتاع وروح به في اي ناحية من نواحي الجزيرة العربية لا يخاف الا الله والذئب مصداق قوله (صلم) « وستذهب الظئينة من المدينة الى صنعاء لا تخشى على نفسها الا الله والذئب » . . . وما ذلك الا لما يرون من تطبيق الحدود الاسلامية على وجهها الصحيح ، وما اعظم ذلك المنظر الرهيب اذ علم اهل مكة أنه بعد صلاة الجمعة سيقتل فلان الذي قتل فلانة وتقطع يد فلان الذي ثبتت عليه السرقة بالاعتراف فتجمعت الجموع الحافلة أمام دار الحكومة عقب صلاة

الجمعة وشاهدوا كيف يشهر الجلاذ سيفه ويضرب به تلك الرأس التاسدة (كذا) ضربة واحدة تطيح بها فتظهر الارض من شرها وتذهب الى سريع الحساب ، ويجي القصاب فيقطع بسكينه يد ذلك السارق المفسدة ويعمل فيها ما يصل في لحم الشاة ثم يقصها ويرفها ليراهم الناس كذلك معلقة امام باب الحكومة طول اليوم ، تلك والله هي الدروس التي لو طبقت مرة في مصر او غيرها ، لما احتاجت الحكومة كل عام الى بناء سجون حديثة وانشاء محاكم جديدة وادهاق الميزانية بمتدرات جديدة لو انها انفتحت على انشاء معاهد علمية وصناعية وغيرها لكان اجدى بالنفع الكثير على الامة .

واني اجزم الجزم كله لو ان حادثة من الزنى طبقت فيها عقوبة الشرع بالرجم او الجلد مثلاً في ميدان من احد الميادين العامة على مرأى من الناس لكان ذلك اوقع وادع واقطع لمادة الفساد . ولا وربك ما المجرم المصري باقبي قلباً ولا اشذ قتكاً من مجرم بادية الحجاز مثلاً ، ولكن هو القانون الصارم والقوية القوية قلعت اظفار الشر في الجزيرة ورفقت لواء الامن ، وختل السجون من كثرة الضيوف ، وهو القانون الهين اللين والعقوبة الظرفية في مصر وغيرها حدثت من مغالب الشر والفساد حتى عم الحوف وكثرت حوادث القتل وضاعت حرمة الاعراض وذمب الشرف تحت اقدام الفاسقين ، وامتلأت السجون بالضيوف المكرمين الممزقن .

### قنطينة العاصمة العلمية

عن «الشباب» المجلة الاسلامية الجزائرية ، باختصار (جداى الثانية ١٩٦٨) نوفمبر ١٩٦٩

ص : ٢٦

« قنطينة ظلت محافظة في غالب ادوارها على مجدها العلمي العتيق . فجمهرة العلماء يحلمون فيها ترعة الثقافة الاسلامية والتلاميذ الناشئون يثابرون على تلقي تلك الثقافة وغشاء الماجد يجدون فيها كل آن دروساً عالية في التفسير والفتحة الاسلامي بطريق التحليل والتسمييص والتطبيق ؛ سيما مسجد «الجامع الاخضر» الذي هو مثابة التعطين ؛ حيث ان الذي يلقي تلك

الدروس هو نفس الاستاذ مثنى هذه المجلة (عبد الحميد بن باديس) ؛ ومسجد سيدي قوش الذي يلقي فيه هذا الاستاذ ايضاً الدروس العربية لخصوص طائفة من تلاميذ الطبقة العالية. والنشء هواة التعليم النظامي الحديث يثرون على ذاتهم في الكتابات العربية المرسلة لذلك الفرض النبيل الذي يوفر على التلاميذ وقتاً فصيحاً وخاصة الكتاب الذي اسس بدار الجمعية الخيرية الموقرة لمزاولة المبادي العربية والدينية بالاساليب الحديثة تحت اشراف هذا الاستاذ ايضاً ؛ ومن اساتذته حضرة كاتب الجمعية السيد محمد التجار والشيخ الشريف الصائفي .

ومنها ان اول ما يتبادر الى ذهن المستشف حالة البلاد هو انه يرى نفسه في وسط عربي اسلامي وبين قوم عرب اقحاح ؛ سواء في الزي ، او في التقاليد او في الثقافة ، او في التفكير . وما يثير اعجاب الزائر لهذه المدينة الجميلة تلك الميزة التي تمتاز بها لا عن بلدان الجزائر فحسب ؛ بل عن الشرق عموماً وهي ان الطبقة المفكرة لا تتخاطب - ولو في المجالس العادية - الا بالفصاحة العربية فصيحة مع الحرص على النطق بالكلمات معربة ، ولعل طول مرانهم على ذلك هو مما غرس فيهم ملكة التعبير عن مقاصدهم على ذلك النحو بدون كلفة

ومنها ان الطبقات ممتازة ، طبقة العلماء والادباء ، وطبقة المزاويلن للسمن الوطنية ، وطبقة التجار ؛ لكن ليس امتياز بعضها عن بعض بالمعنى الارسطوقراطي المعروف ؛ وانما من الآداب المتعارفة لديهم ان لا تعدو كل طبقة حدود وظيفتها مع احترام غيرها لوظيفتها ؛ سيما طبقة العلماء والادباء . والمفكرين اكثر تمتعاً بهذه الميزة ، وملحوظة من الجميع بعين ملوؤها الاجلال .

